**د. لبنى خشة**

**جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة –الجزائر**

**عنوان المداخلة: سماحة الإسلام ونبذه للتطرف**

**مداخلة للمشاركة بالندوة الدولية الموسومة بالأخوة الإنسانية،**

**جامعة الازهر، كلية الشريعة والقانون بدمنهور –جمهورية مصر العربية**

**04-فيفري 2021**

**المقدمة:**

عمل رسول الله عليه الصّلاة والسّلام على نشر الإسلام بكل محبة ورقي، ولكن التعصب الديني، نمى بعده وبدأ يعتم على الهدف الرئيس لهذه الرسالة النبوية العالمية لأسباب واهية، وبأيدي خفية حتى اتجه بعض المسلمين نحو التطرف الديني ومعاداة الطوائف الأخرى، لتبدأ كلمة التعصب تلف الشعوب وتشرع تفسير الدين على أهوائها، حسب تضارب مصالحها واحتياجاتها، وليس دفاعاً عن دين الله.

وللأسف الشديد فقد تمكن العرب قبل الغرب من تحويل الإسلام من جوهره الأسمى الذي ينص على نشر الخير وابعاد الشر إلى دين التطرف، والتعصب، ونشر الكره، ونبذ الاخر من دون أن يتذكر آيات الله سبحانه التي كرمت النفس البشرية وحرمت نبذها وكرهها وبغضها وحتى قتلها، وقد جاءت آيات القرآن الكريم واضحة صريحة تنص على عدم الاكراه في الدين قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ (البقرة: 255)، ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ (الكهف: 29)، ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس: 99)،

كما جاءت تحرم العنف والقتل بغير حق، رافضة كل أنواع التشدد والكراهية والعنف، قال تعالى:﴿ **مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾[سورة المائدة ـ الآية 32]

وفي سورة النساء الآية 93 قال تعالى:﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾

وقال أيضا:﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** ﴾[سورة الفرقان ـ الآية 68]، وقال أيضا:﴿ **وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا** ﴾[سورة الاسراء ـ الآية 33]

وقد حذر رسول الله عليه الصلاة والسلام من تقاتل المسلمين فيما بينهم إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهم صاحبه فالقاتل والمقتول في النار، وكثيرة هي الآيات التي حرمت قتل الإنسان لأخيه الإنسان، كما حذر من الغلو والتشدد والتطرف قال:(**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**) فما هو التطرف؟ وما أسبابه؟ وكيف نواجهه؟

## 1-نبذ الإسلام للتطرف:

### أ-مفهوم التطرف:

-لغة:

تطرَّفَ، يَتطرّف، تطرُّفًا، فهو مُتطرِّف، والمفعول مُتطرَّف (للمتعدِّي)، **تطرَّف الشَّيءُ**: مُطاوع طرَّفَ: أتى الطّرْفَ، أي منتهى الشيء، صار طرْفًا أي "وقف في الطرف بعيدا عن الوسط"، **تطرَّفت الشمس:** أوشكت أن تغرب. **تطرَّف الشَّيءَ**: أخذه من أطرافه **تطرَّف في إصدار أحكامه**: جاوز حدّ الاعتدال ولم يتوسّط.

-اصطلاحا:

التطرُّف؛ المبالغة والزيادة على الحد المأذون به والوصول على حد المغالاة، سواء كانت سياسية أو دينية أو مذهبية أو فكرية، وهو أسلوب خطِر مدمِّر للفرد أو الجماعة "تبذل بعض الدول جهودًا مضنية للقضاء عليه".

وهو أيضا؛ اخذ الفرد موقفا متشددا يتسم بالقطيعة في استجاباته للمواقف الاجتماعية، الموجودة في البيئة التي يعيش بها.

### ب-صور التطرف:

| التطرف في الاعتقاد | التطرف في العبادة والدين | التطرف في السلوك | التطرف في الاخلاق والمشاعر |
|---|---|---|---|
| غلو بعض الأشخاص في تعظيم الصالحين والتبرك بهم، وكذا الغلو في تكفير وتبديع واتهام المسلمين، والشرك بالله من أخطرها | المبالغة في العبادة المشروعة فيحدث أعمالا لم يشرعها الله في العبادة والدين، ويزرع أشواك الفتنة والتفرقة، وقد أخذ تسميات عديدة منها: التشدد، الغلو، التنطّع هذا التطرف والغلو يشوه صورة الإسلام. | المبالغة في النسك والزهد وتحريم ما أباحه الله، وهو أيضا المبالغة في التورع عن جميع المكاسب ويشدد على الناس حتى يوقعهم في الحرج . | الغلو في حب بعض الأشخاص وانزالهم منزلة الرسول الكريم. وكذا الغلو في البغض والكره، فيحمله على ظلم أصحاب الديانات وانتهاك من كانت له حرمة والغدر به. |

## ج-وسطية الإسلام وسلامة بناءه:

الدين الإسلامي هو الدّين الّذي أنزله الله عز وجل، على النّبي محمّد عليه الصّلاة والسّلام إلى العالم قاطبة، دين رفع راية التسامح والتراحم بين البشر، وأقام العدل والاعتدال، كما مد الكف للسلم والمسالمة، دين نشر المحبة والتقوى، دين أكد على المغفرة وحب الآخر، وأحقّ الحق والتعامل بالحسنى وفقاً للشرائع الدينية التي فرضها القرآن الكريم، ربى النفوس على الإخاء والمصالحة ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [سورة الحجرات الآية 10]

وحض الناس على نبذ التطرف والعنف، قال تعالى:﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾[سورة البقرة الآية 143] فهي أمة الوسطية التي تسعى لتحقيق مبدأ التوازن الذي تقوم عليه سنة الله في خلقه، هذا التوازن الذي يكفل الحقوق لأصحابها على اختلاف اتجاهاتهم وعقائدهم، ويُحدث الاستقرار والامن والامان والسلام.

إن وسطية الإسلام وسماحته لا تتأتى من العقول البشرية، بل من النصوص الشرعية، وذلك بتمعن آياتها وتمحيص شرائعها، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: (**فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين، كان التشريع رادا إلى الوسط الأعدل، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه، فعل الطبيب الرفيق يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته وقوة مرضه وضعفه، حتى إذا استقلت صحته هيأ له طريقا في التدبير وسطا لائقًا به في جميع أحواله**) الموافقات للشاطبي، دار المعارف، ج2، ص163

وإننا حينما نتكلم عن مظاهر الوسطية في الإسلام نتكلم عن أمور كثيرة ومتغلغلة في جميع شعائر الدين وفرائضه، من عقائد وأحكام وعبادات ومعاملات وعلاقات، لذلك فدين الإسلام والمتمسكين به، براء من الانحراف عن الوسط، والذي ينصرف عنه بغلو أو جفاء لم يتمسك بالإسلام بكماله، وهو غير ممثل له وإنّما يمثل نفسه.

ثم إنّ الخروج عن هذه الوسطية يؤدي حتما إلى الوقوع في أمر خطير، ألا وهو الغلو أو ما يعرف بالتطرف، وقد حذر النبي صل الله عليه وسلم من هذا الأمر الذي فتك ولا يزال يفتك بالأمم التي تحيد عن الوسط: ففي حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أنّ النبي صل الله عليه وسلم قال: (**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**)[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (**هلك المتنطعون**)[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (**لا تشددوا على أنفسكم**)[3].

هذا الغلو أو التطرف الذي يحجب نور العقل ويطفئ جذوته، ويدفع صاحبه للعنف؛ سواء كان لفظيا أو نفسيا أو جسديا، عنف يتنافى مع خصوصية الدين الإسلامي وتعاليمه، والتي جاءت لتحث على الرحمة، ولو تفحصنا القرآن الكريم من أوله إلى آخره وفهمناه كما فهمه العلماء المعتدلون الناصحون، ما وجدنا فيه إلاّ ما يحذر من الغلو والتطرف، لذلك نشّأ القرآن الكريم رسول الله صل الله عليه وسلم في ظل الرحمة، وفي ظل السماحة، ألم يقل الله عز وجل في كتابه لرسوله (صل الله عليه وسلم): ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ولَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَ نْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ عَنْهُمْ واَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾، [سورة آل عمران الآية 159] وإن كان هذا قول الله تعالى للنبي الكريم الرحيم، وهو أرفق الناس وارحمهم قلبا، فما بالك بمن خلق وصور؟

---

[1] رواه أحمد النسائي وابن ماجة

[2] صحيح مسلم، "كتاب العلم"، بَاب "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ".

[3] سنن أبي دواود

## د-أسباب التطرف الديني:

أرسى الإسلام موازين العدالة المطلقة، متحررة من العصبية للعرق، متحررة من العصبية المذهبية، متحررة من العصبية للدين، ألم يقل الله تعالى:﴿ وَلاَ **يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** ﴾[سورة المائدة الآية 8] لكن أسبابا كثيرة جعلت البعض يحيدون عن هذا المنهج ويتطرفون في الدين ولعلّ اهم هذه الأسباب:

**1-الفهم الخطأ لثوابت الإسلام:** إنَّ سوء الفهم للنص الشرعي يؤدي إلى عواقب وخيمة تودي بالمرء إلى الجحيم، ذلك ان قراءة النص الشرعي وفهمه وتفسيره لأهل الاختصاص المؤهلين لذلك دراية وفهما وعلما، وبعض التفاسير المعاصرة أدت بأصحابها إلى الابتعاد عن الفهم الصحيح للنص القرآني.

**2-التزام الرأي الشخصي:** إنَّ التزام الرَّأي الشخصي يؤدي إلى التطرف الديني عندما يكون ذلك الرَّأي نابعًا ممَّن لا دراية له ولا علم، وليس له فهم يُعينه على تقصي مقاصد الأمور وفهم معانيها.

**3-عدم الرجوع إلى القواعد الشرعية:** إنَّ عدم الرجوع إلى القواعد الشرعية في المسائل من شأنه أن يولد التطرف الديني وبالتَّالي التشديد والتضييق في الأحكام وتوسيع دائرة الحرام، وبهذا يُخالف الرَّجل علماء السَّلف الذين كانوا لا يطلقون الحرام على أمرٍ إلا ما عُرف أنَّه حرامٌ معرفةً قاطعةً، وحُجَّتهم في إطلاق الأحكام المتشددة هو التورع عن الحرام، ولكنّ ذلك لا يصح؛ لأنَّ الأصل في الشريعة الإسلاميَّة أن يُنقل الحكم كما هو عن العلماء دون التشديد الذي يدخل في دائرة الكذب على الله تعالى، فقد قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَالٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**﴾ سورة النحل الآية 116

**4-الابتعاد عن المنهج القويم للدين:** يثير المتطرفين في الدين الجلبة حول أمور لا تعدو فرعًا اختلف فيه العلماء بينما تكون قضايا إسلامية كبرى -في نفس ذلك الوقت-تضيع من بين أيديهم، فالعقيدة تحتاج إلى أناس يذودون عنها، والاشتغال في تلك المسائل والابتعاد عن المنهج الإسلامي الأصلي الذي يقوم على العقيدة وإقامة الفرائض وتحريم الكبائر من شأنه أن يبث الفرقة بين المسلمين ويقسمهم إلى شيع متفرقة.

**5-ضعف النظرة الشمولية:** لنظرة الشمولية تعني أن يمتلك المسلم نظرة تكاملية عن الأمر الذي بين يديه حتى يتمكَّن من فهمه ويكون منصفًا فيه، وينشأ التطرف الديني من ضعف النظرة الشمولية للأحكام وعدم معرفتها بكليَّتها، بل قد تعمد بعض الفرق على تربية أولادها على بعض الأمور التي كان يفعلها السَّلف، وحجب الكثير من الأمور الأخرى التي لا تخدم مصالحهم الشخصية، فينشأ تطرف الرجل من جهله بكافة الأمور واطلاعه على بعضٍ منها فقط، وذلك كله يؤدي إلى خلل في المنهج الإسلامي.

**6-عدم احترام العلماء:** إنَّ عدم احترام العلماء يؤدي إلى التطرف الديني؛ لأنَّهم هم أهل العلم ورجاله الثقات، فتتولد قلة احترام العلماء عند المتطرفين من اعتقادهم أنَّهم هم أفضل من العلماء، وكذلك فإنَّهم لا يقبلون من العلماء أن يعارضوهم في آرائهم ولا يقبلون الحوار أو المناظرة كذلك، وكثير من أولئك المتطرفين لم يتلقوا علمهم عند علماء معروفين، بل أخذوا شيئًا من بعض العلوم من الكتب، فبذلك يسيئون الفهم من دون أن يدروا.

**7-اتباع المتشابهات من النصوص:** إنَّ دأب المتطرفين في دينهم هو الركون إلى المتشابهات من النصوص الشرعية، وترك المحكمات البينات منها، وذاك فعل لا يقدم عليه إلا من أراد أن يُطوّع الشيعة لمآربه الشَّخصيَّة، والمقصود بالمتشابهات من النصوص أي ما كان محتمل المعنى ومدلوله غير منضبط، وأمَّا المحكمات أي واضحة الدلالة مفهومة المعنى، فيأتي المتطرف إلى المتشابه من النصوص فيجعل منها ضابطًا في الحكم على الآخرين بالكفر أو بالإيمان ويحدون علاقاتهم مع الآخرين بناءً عليهادون الرجوع إلى المحكمات من النصوص التي بيَّنت ما تشابه منها.

**8-عدم فهم التاريخ الإسلامي:** المتأمل في التاريخ النبوي يجد أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-بقي في مكة يدعو إلى الإسلام ثلاثة عشر عامًا، ولم يقطع شجرة ولا عرّض أصحابه لخطر معركة غير متكافئة القوى، بل عمد -عليه الصلاة والسلام-إلى تليين النفوس وتطبيبها وتأليفها حوله، وثبَّت فيها رواسخ الإيمان، وفهّم تلك القلوب عن ظهر قلب أركان الإسلام، لكن الفهم الخاطئ للإسلام وتعاليمه جعل الكثير من المتطرفين يتبنون أفكار خاطئة جرت الويل إلى شعوبهم.

## د-مواجهة ظاهرة التطرف:

يعدّ التطرف، شذوذا فكريا تصوريا، وانحرافا منهجيا عن جادة الهدي الإلهي، مهما كانت المبررات، كما يقوم على جهل مركب بأصول الدعوة، وذهول مريع عن منهجها ومقاصدها وفلسفتها؛ جهل بأن الأصل في الإيمان؛ العلم والإرادة والاختيار الحر، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ (البقرة: 255)، ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ (الكهف: 29)، ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس: 99)، ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ**﴾(الغاشية: 21-22).

ولمواجهة هذه الظاهرة، اعتمد الإسلام نهجا واضح المعالم للتبليغ والدعوة والناصحة، يقوم على "الحكمة والموعظة الحسنة": مصداقا لقوله تعالى:﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾(النحل: 125)، ذلك أن الأصل في النبوة، إشاعة الرحمة ومكارم الأخلاق؛ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[4]،﴿ وَمَا **أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾(الأنبياء: 106). وأن إيمان المرء لا يتحقق إلا بحبّه لأخيه الإنسان وإيثاره ونصحه، وحسن الظن به، والتماس الأعذار له؛ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[5]،﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾*(الحشر: 9).*

وإضافة إلى ما جاءت به تعاليم الدين الإسلامي في مواجهة التطرف نقترح بعض الأفكار التي قد تعيد على مواجهة هذا الشذوذ الفكري والديني والذي لا طائل منه سوى العنف والكره والبغضاء.

[4] رواه: أحمد، ومالك، والبخاري في "الأدب المفرد"، والحاكم، والبيهقي في "الشعب"، وعند بعضهم: "لأتمم صالح الأخلاق"

[5] السلسلة الصحيحة" الجزء 1، ص75

العلماء علنا، هذا يفتح بابا لضعاف النفوس والفهم للتشدد لهذا دون ذاك لذلك يجب امتصاص الاختلاف وتقارب الآراء بين العلماء.

تنشئة صحيحة سليمة، مبنية على الحوار وتقبل رأي الآخر، وتقبل أفكاره، كما يجب على الاسرة مراقبة ابناءها، وتخصيص وقت لهم للنقاش وتوضيح بعض المفاهيم المبهمة لمعرفة ما يدور في أذهانهم من أفكار، كي تدعم وتشجع إن كانت صحيحة، وتصحح إن كانت خاطئة، فدور الاسرة دور أساسي.

إلى الهاوية، لذلك يجب ان يكون الشخص حذرا في تلقيه للمعلومات، ويجب ان يتبع مصادر سليمة موثوقة.

**الخاتمة:**

الإسلام دين الوسطية ونبذ التطرف والعنف، دستور حضارة يصلح لكن زمان ومكان، تعاليمه واضحة وآياته تحمل من الرفق والرحمة ما يكفل التعايش تحت ظله، لذلك وجب العودة إلى أحكامه ومبادئه، وفق المنهاج الذي مشى على خطاه نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم.